اشتهر قديماً بتصدير البن اليمني وحديثاً حجراً للمواشي :

الحلقة الأولى

ميناء المخا.. من الشهرة العالمية إلى العزلة المحلية

.. تعتبر مدينة المخا من أشهر المدن اليمنية عالميا فلم تعرف دول أوروبا والدول الغربية اليمن إلا عن طريق المخا وهذه ليست شهادتي كمحقق صحفي وإنما هي شهادات انقلها للقارئ حيث يقول المؤرخون والباحثون أن مدينة المخا اشتهرت عالميا لأنها كانت السوق الرئيس لتصدير القهوة (البن) بين القرنين الخامس والسابع عشر .. وقيل أيضا أن مدينة المخا أخذت تستعيد حياتها كمركز تجاري حتى بلغت في القرن السابع عشر الميلادي وكانت في أوج ازدهارها .. ويقول المؤرخ «الواسعي» (باسم المخا يسمي الإفرنج (الغرب) افخر البن عندهم باسم) mocka coffee (وتعني بن المخا) ... إذاً تحقيقنا التالي سيسلط الضوء على مدينة المخا من جانب تاريخها الناصع وشهرتها في القدم أولاً وثانياً سنتطرق إلى حالها البائس وهي تشكو حالة الإهمال والنسيان في العصر الحديث وهي المدينة التي عرفها العالم أجمع في عصور الانغلاق والشتات والتخلف .. نتابع حصيلة ما جمعناه في ثنايا هذا التحقيق:

تحقيق/ محمد العزيزي

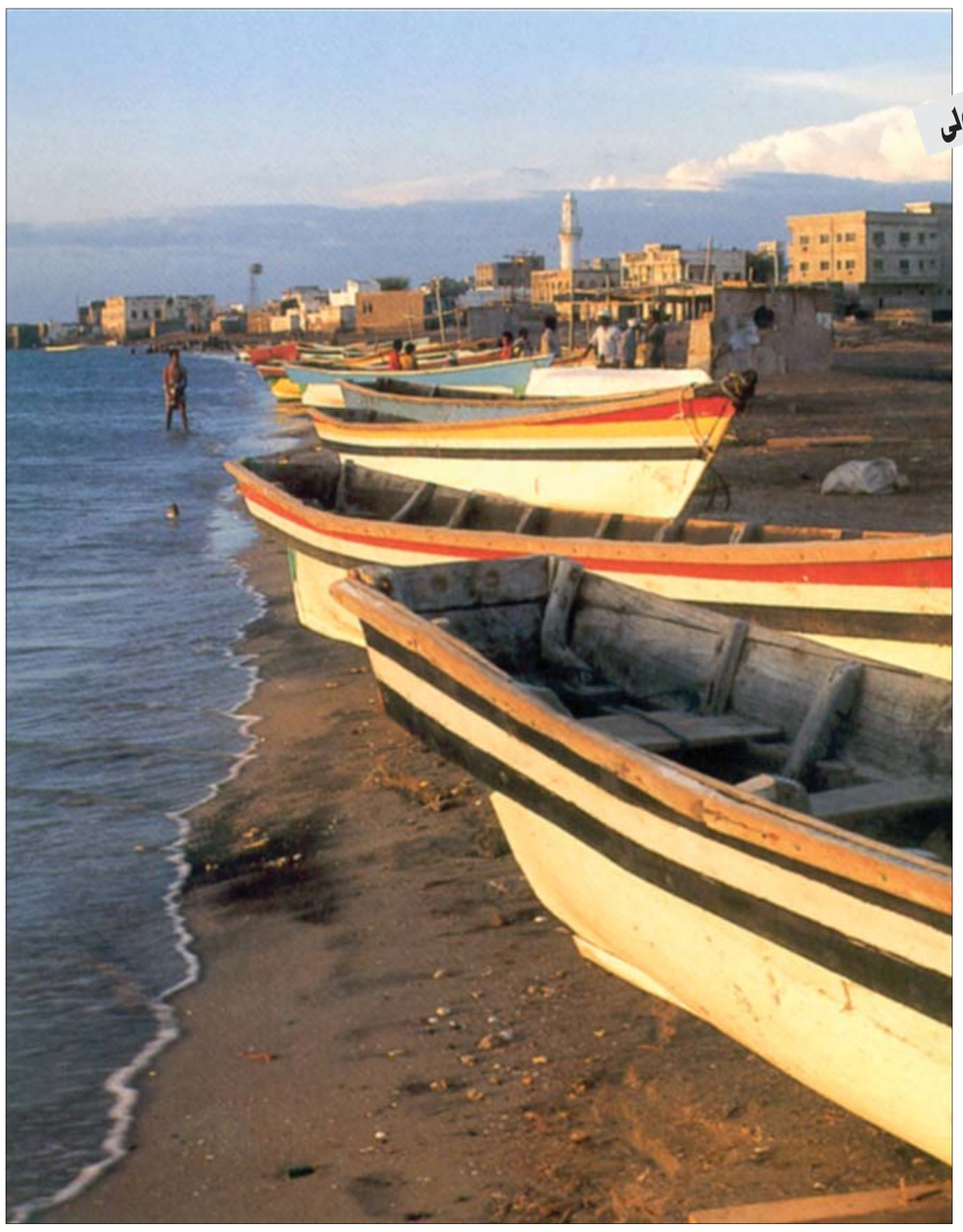

اطلال مبان عتيقة تحكي عصوراً ذهبية وعظمة تاريخ وحضارة تليدة

في بداية سطور التحقيق التالي لا بد لنا أن نعرج قليلا في تاريخ هذه المدينة وما كتب عنها المؤرخون ومن زارها من الكتاب الغربيين .. مدينة المخا هي أحد أهم مديريات محافظة تعز اليمن ؛ وتقع على ساحل البحر الأحمر غرب مدينة تعز وعلى بعد حوالي ٩٤ كيلو متراً ؛ وهي مدينة وميناء قديم يعد من الموانئ القديمة التي ذكرتها النقوش الحميرية باسم (مخن) فقد قامت مدينة المخا بادوار تاريخية هامة قبل وبعد الإسلام .

وبحسب هذه المصادر التاريخية فانه قد سجل اسم المخا في نقوش يمنية قديمة بخط المسند ؛ مثل نقش للملك « يوسف اسار « والمشهور « بذي نواس « يذكر النقش أن الملك قاد جيشه إلى مخن وقاتل الأحباش فيها واستولى على كنيستها وكان الملك يوسف يهوديا ؛ ويعود تاريخ كتابة هذا النقش إلى ما قبل الغزو الحبشي لليمن في عام ٥٢٥ ميلادية ؛ فمدينة المخا إذاً هي (مخن- أو مخان) بلغة المسند وهو اسمها منذ فترة ما قبل الإسلام حتى اليوم ؛ كما أن ميناء المخا كان يتبع الملك الحميري « كرب ال وثر « ملك ظفار.

حملات عسكرية

لأن مدينة وميناء المخا مهم واستراتيجي فقد وثق المؤرخون ذلك يقول الباحث « شرف الدين « في كتابه (اليمن عبر التاريخ) أن مدينة المخا تعرضت لعدة حملات عسكرية من قبل الطامعين في اليمن أهمها حملات البرتغاليين التي انتشرت في أوائل القرن العاشر الهجري على سواحل اليمن وكانت هذه الحملات سببا رئيسيا في تنافس الدولة العثمانية والحكومة البريطانية على المنطقة .. فقد أجرت الأولى عدة حملات عسكرية كانت نتيجتها طرد البرتغاليين من احتلال السواحل اليمنية . ويؤكد شرف الدين أن الدولة العثمانية دخلت المخا عام ٩٥٤ هجرية وكانت مدينة المخا تشكل موقعا عسكريا ينطلق منه العثمانيون لشن غاراتهم على البرتغاليين.

مراحل التدهور

وبعد خروج العثمانيين من اليمن عام١٦٤٠ م بدا ميناء المخا يفقد أهميته في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي مع ازدهار ميناء عدن الذي اهتم به البريطانيون ؛ إلى جانب أن العثمانيين عملوا على إنشاء ميناء الحديدة في ذاك الوقت .. كما زاد من تراجع مدينة المخا ما عانته خلال حربين دمرت قلاعها وهدمت منازلها وقصورها الفخمة ومتاجرها الكبيرة .. الأولى أثناء الحرب العثمانية الايطالية عام١٩١١ م والثانية أثناء الحرب العالمية الأولى حين دمرها البريطانيون في قتالهم ضد العثمانيين عام١٩١٥ م إضافة إلى ذلك تراجع إنتاج البن في اليمن بسبب ظهور منتجين جدد للبن في العالم مثل البرازيل والمكسيك.

البن أهم السلع

كما ذكر الباحثون أيضا أن البن كان أهم سلعة يمنية تصدر إلى الخارج عبر ميناء المخا في العصور القديمة والحديثة ؛ إضافة إلى الصبر والبخور وأعواد الأراك بالإضافة إلى تصدير كميات كبيرة من الزبيب .وفي المخا مدينة تاريخية قديمة وتعتبر أحد المدن الهامة تاريخيا وتجاريا وكانت تحتوي على العديد من المواقع الأثرية حيث أتى على ذكرها الرحالة « نيبور « في يومياته التي سجلها عند زيارته للمدينة عامي)١٧٦٣ ــ١٧٦٢ (م بقوله : إن المخا مدينة مأهولة بالسكان ومسورة ؛ بالإضافة إلى السور توجد أبراج للحراسة على طريق موزع منتشرة بين المدينة وبير البليلي وعلى البحر تطل قلعتان مزودتان بمدافع وهما قلعة طيار وقلعة عبدالرب بن الشيخ الشاذلي وبعض البيوت مبنية بالحجارة بطريقة جميلة مشابهة لطريقة بناء بيوت بير العزب بصنعاء.

الميناء القديم

لم يتبق من معالمه سوى بقايا أساسات من الحجارة مطمورة بالرمال وتمتد على مسافة-٣٠ (٥٠مترا) إلى البحر ؛ ويستدل من تلك الأساسات وجود آثار مبنى لمسجد وأحجار دائرية الشكل كانت تستخدم لطحن الحبوب أما فناء الميناء الذي تصل مساحته إلى حوالي ١٢×٤٠ (مترا) ويوجد في قمته صحن دائري من معدن النحاس يرتبط بسلم حديد إلى أسفل وموقع الميناء بصورة عامة يعاني من الإهمال ويتأثر الموقع نتيجة للعوامل البيئية والرطوبة العالية التي تؤدي إلى زيادة مظاهر الصدأ والتآكل الذي ينخره يوما بعد يوم.

إهمال حكومي

كل ما تابعنا من أهمية لميناء ومدينة المخا من حيث الموقع الاستراتيجي والتاريخي والسياحي والأثري والحضاري والتجاري لم تلفت الحكومات المتتالية لأهمية هذا الميناء من كل جوانبه وزاد في الإهمال كما ذكر الباحثون إلى توقف نشاط الميناء تجاريا وانهيار زراعة البن وتوجه الحكومة بعد الوحدة المباركة صوب ميناء عدن والمنطقة الحرة .

يقول أهالي المخا أن الميناء التفت إليه في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي وهذه اللفتة لم ترق إلى مستوى إقامة ميناء تجاري وهو بالفعل ما حصل حيث تحول الميناء لحجر أو محجر للمواشي التي تصدر إلينا من إفريقيا كالصومال وأثيوبيا وارتيريا وغيرها إلى جانب بعض السفن الصغيرة .. وقالوا في أحاديث أثناء زيارتنا للمخا أن هناك وعوداً متكررة بإعادة تأهيل الميناء وهذا لم يحصل بالإضافة إلى المشاريع الاستثمارية السياحية والتجارية والصناعية الخ .. مؤكدين أن اغلب سكان المخا ومديرياتها يعملون في الرعي والتجارة الحرة والحرف اليدوية ومجالات النقل والمواصلات ..وذلك بعد أن كانت المدينة التجارية الأولى في اليمن والعالم وشهرتها قديما وهذا ما تتحدث عنه المدينة القديمة للمخا.

مدينة المخا ازدهرت في 8 قرون ماضية وتشكو الإهمال والنسيان في العصر الحديث

قرية سياحية

ويقول الأهالي أن من بين هذه المشاريع التي لم تر النور بعد في مدينتهم الإعلان عن ترتيبات للبدء بإنشاء أكبر قرية سياحية في منطقة الجزيرة العربية وستقام في مدينة المخا على البحر الأحمر بعد أن تم الانتهاء من دراسة الجدوى الاستثمارية لهذا المشروع البالغة تكلفته الإجمالية أكثر من ٥٥٠ مليون دولار.. وأن المشروع الذي سيتم وضع حجر الأساس له قريباً، وسيستمر العمل في إنشائه ست سنوات سيشتمل على مدينة سكنية متكاملة وعدداً من الشاليهات والفنادق -خمسة نجوم- وغيرها من لوازم ومتطلبات القرية السياحية... ولفت عدد من الأهالي إلى أنهم تابعوا الإعلام وهو يتحدث عن أهمية المشروع الذي يهدف حسب أقوال الأهالي إلى تنمية وتطوير قطاع السياحة الداخلية، الذي سيوفر ملايين الدولارات التي يتم إنفاقها في الخارج، كما أنه يشكل خطوة مهمة لجذب السياح الأجانب والترويج للاستثمارات السياحية في اليمن.

وقالوا إنهم سمعوا أن السبب في اقامت هذا المشروع في المخا يرجع إلى ما تتمتع به المنطقة من مزايا ومقومات سياحية كونها تقع على البحر الأحمر وفيها الآلاف من أشجار النخيل الجميلة والمتفردة في تشكيلاتها بالإضافة إلى ما تتمتع به المدينة من شهرة عالمية منذ القدم..

مؤكدين أن الوعود للمخا كثيرة في تأهيل المدينة القديمة التي لم يتبق منها إلا الأطلال وركام المباني العتيقة بالإضافة إلى ترميم معالم المدينة الأثرية والتاريخية .. وكذا إعادة تأهيل ميناء المخا وتوسيعه ليصبح ميناء تجارياً له قيمته التاريخية ويستعيد مجده القديم وهي في الأخير وعود ما نزال في انتظارها .

أخيراً

وفي ختام هذا التحقيق لم يعد لدينا ما نعلق عليه سوى أن نطرح تساؤلات المواطنين .. متى ستنفذ مواعيد عرقوب؟ ولماذا دمرت المدينة القديمة؟ ومن المسؤول عن ترميمها؟ كل هذه التساؤلات وغيرها نطرحها على المعنيين علها تحصل على الإجابة في قادم الأيام .. وإننا لمنتظرون.

حول العالم

إعداد/ عبدالسلام تامة

مصر : اكتشاف مدينة سكنية اثرية بالوادي الجديد

● نجحت بعثة المجلس الأعلى للآثار المصرية التى تجري حفائرها فى منطقة «عين السبيل» بالواحة الداخلية بمحافظة الوادى الجديد فى الكشف عن موقع مدينة أثرية تعود للعصر القبطى (القرن الرابع الميلادى) يتوسطها كنيسة شيدت على الطراز البازيليكى؛ صرح بذلك د.مصطفى أمين؛ الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، مشيرا إلى أن الحفائر أسفرت أيضا عن كشف عدد من المبانى ملحقة بالكنيسة تشير الدراسات الأولية إلى أنها كانت مباني خدمية لرهبان وقساوسة وزوار الكنيسة، مؤكدا على أن منطقة عين السبيل الأثرية تعد من المناطق الجديدة التى لم يتم إجراء أعمال حفائر بها من قبل وأن هذه الاكتشافات تقودنا إلى توقع وجود مدن أثرية أخرى بهذه المنطقة تمثل حقبا تاريخية مختلفة؛ مما يعد إضافة جديدة لخريطة مصر الأثرية.

وأوضح محسن سيد علي، رئيس قطاع الآثار الإسلامية والقبطية أن الحفائر كشفت كذلك عن منزل يتكون من قاعة كبيرة وحجرات للمعيشة ومدخل رئيسي ومطبخ وفرن وسلم متكامل المعالم، كما كشف بموقع الحفائر أيضا عن عدد من العملات البرونزية تعود للقرنين الثالث والرابع الميلادي وعن مجموعة من القطع الفخارية التى كانت تستخدم فى المعاملات التجارية، مشيرا إلى أنه جار استكمال الحفائر للكشف عن المدينة الأثرية بكامل عناصرها المعمارية.

لبنان : السعوديون يتصدرون قائمة الانفاق السياحي

● سجل إنفاق السياح في لبنان منذ مطلع العام الجاري وحتى نهاية شهر أكتوبر الماضي نموا بنسبة ٨٪ حيث تصدر السعوديون قائمة إنفاق السياح في لبنان بحصة ٢٠٪ من إجمالي الإنفاق السياحي تلاهم الإماراتيون بنسبة ١١٪ ثم الكويتيون والسوريون والمصريون بنسبة ٩٪ و٨٪ و٦٪ على التوالي.

وأظهر تقرير سياحي نشر في بيروت أن إنفاق السياح السوريين سجل أعلى معدل نمو حيث بلغ ١٨٪ تلاهم الإماراتيون الذين نما إنفاقهم بنسبة ١٦٪ في حين نما إنفاق السياح الفرنسيين بنسبة ١٠٪ مقابل تقلص إنفاق السياح المصريين بنسبة ١٣٪ تلاهم الأردنيون والسعوديون بتراجع بلغت نسبته ١٠٪ و٤٪ على التوالي.

ولفت التقرير إلى أن أرقام نمو إنفاق السياح تتزامن مع تسجيل تراجع في مستوى تدفقهم إلى لبنان مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي حيث تراجع عدد السياح الوافدين إلى لبنان بنسبة ٢٤,٤٪ وبلغ ١٤٠٠٧١١ سائحا.

السياحة.. والواقع المُعاش

● غريب أمر سياحتنا أرضيتها خصبة وبيئتها مهيأة فعانت من الخمول والركود، والآن ومنذ بداية العام الحالي٢٠١١ م وما شهدته بعض البلدان العربية ومنها بلادنا من ثورات شعبية وأزمات سياسية واقتصادية ضاعت السياحة واختفت من خارطتنا وتفكيرنا.

ما إن تتحدّث عن السياحة أو تذكرها في مكان ما أو في مقيل يرمقك السامعون بأبصارهم وترى نظرات الاستغراب وكأنك قلت شيئاً غريباً، وتسمع الردود والتعليقات تتوالى نحوك بين قائل: بالله عليك الآن وقت سياحة، وآخر يقول اتق الله أين تعيش.. شكلك مرتاح ما عاد ناقص إلا السياحة تتكلم عنها.. ألا تستحي ما استطعنا نعيش حياتنا اليومية، فالأزمة وارتفاع الأسعار لم تبقِ لنا مجالاً للتفكير سوى في كيفية توفير متطلبات المنزل والبحث عن دبّة الغاز وقيمة القمح والأرز و... و... و.... و.... الخ، وهذه بنظرنا تعد سياحة لكن على طريقتنا، سياحة تنغصّك لا تفرّج عنك، تتعبك لا تريحك، وتكون سعادتك إذا استطعت توفير شيء من متطلباتك.. فأي سياحة أكثر من ذلك.

أنظر إلى واقعنا وما نعانيه، وإلى الوضع الذي نعيشه وتعيشه بلادنا، وفي ظل ذلك كله كيف سيكون هناك مجال للتفكير في أمر كهذا، ومن ذا الذي لديه إمكانية أو استعداد للسياحة.. حتى القادمين من خارج الوطن أصبحت تخوّفهم الأوضاع وما تتداوله وسائل الإعلام من أخبار عن بلادنا.

رياض مطهر الكبسي

لا نعتب على أحد فهم محقون ونحن معهم، فالسياحة شهدت ركوداً والوطن كان مستقراً فكيف حالها والبلاد وما تعانيه..

لكن ما أود الإشارة إليه هنا هو أن السياحة تعد قطاعاً هاماً ومورداً اقتصادياً لا يُستهان به فكيف يُغيّب هذا القطاع عن اهتماماتنا وسياستنا.

ولماذا توقّف الحديث عن السياحة والترويج لها حتى لو أخذنا في الاعتبار الثورة أو الأزمة التي يعيشها الوطن.. لكن ألا يُفترض أن يسير كل شيء في مساره طالما الدولة قائمة ومرافقها تؤدي عملها بعيداً عما يحصل ويجري فكلها ممتلكات الدولة والشعب، ومنافعها تعود على الشعب والوطن والإضرار بها يعود سلباً على الوطن والشعب.. وطالما هناك جهة معنية ومسئولة عن السياحة فينبغي أن يستمر الترويج للسياحة.

Ryad-ma@yahoo.com